اللقاء، رغم نتائجه، الأثر الحاسم في حياة ابراهيم الشيخ خليل؛ فاثاتاً لرجولته ورداً على الاستهتار به، قام بعمليات فردية قادته، مرة أخرى، الى القساميين، وهذه المرة كانت بعد استشهاد القسام.

وتنطبق البداية عينها على حسن باير الذي قال: «عرّفني الشيخ طه الدريني من الناصرة، على الشيخ القسام في المسجد. وبعد صلاة العشاء أخذني عز الدين القسام الى بيته، قرب البرج، وأنامني عنده»[٥٩]. وكانت تلك الليلة هي بداية حسن باير مع الحركة القسامية. وكذلك القبضاي أحمد الطيب* الذي يقول محمد عز الدين القسام عنه: «حين أحضروه الى المسجد، صار من أفضل المخلصين، واستشهد في العمل التحضيري؛ وهو ينقل أسلحة على طريق الناصرة. وبكى أبي عليه وكأنه ابنه»[٦٠].

وصحيح ما قاله أحد الباحثين، بأن تنظيم القسام انتشر بين أوساط فقراء المدن المتدينين ممن التفوا حوله في المسجد[٦١]، لكن القسام لم يحصر نشاطه التنظيمي في الذين جاؤوا إليه في جامع الاستقلال، بل خرج بنفسه الى أصحاب القضية في بيوتهم وأماكن عملهم وراحتهم. خاصة وأنه يملك سمات شخصية تقرّبه من القاعدة الاجتماعية للتنظيم والتي تتمثل بالعمال والفلاحين. اذ كان «يكره التأجيل والمماطلة وينجز المهمات فوراً. حاضر البديهة وسريع الخاطر»[٦٢]، ينفذ ما يقول ولا يكترث لنفسه في شيء، وحياته بسيطة في بيته وملبسه ومأكله»[٦٣]، و«الناس تحبه وتحترمه»[٦٤]. وللتدليل على تواضعه، روى ابنه الحادثة التالية: «جاء شخص يسأل عنه في البيت وكان غائباً. وبحث عنه في جامع الاستقلال وجمعية الشبان المسلمين ولم يجده أيضاً. ودله أحد المارة على مكانه، وكان يتناول افطاره عند قيِّم الحمام؛ حيث الأخشاب والدخان والشحبار. وتبين أن ملقم الحمام، وكان معدماً، قد دعاه الى تناول الأفطار معه، فلبى دعوته باكراً»[٦٥]. ومن المقهى «جذب الى الجامع، ثم الى الثورة، عشرات المقاتلين»[٦٦].

وعلى خلاف أجنحة الحركة «الوطنية» الاصلاحية والرجعية، كان تنظيم القسام، أول تنظيم فلسطيني يستقطب الفلاحين الفقراء والبدو، لا الارستقراطية الريفية. فأقام «علاقات قوية مع منطقة 'العبهرية' وفيها عرب منسي، أبي زريق والسعديين»[٦٧]، ونسج علاقات مع عشرات القرى وكان «الرأي العام متستراً على حركة الشيخ القسام وجولاته شبه العلنية»[٦٨]، واستطلع بنفسه مواقع تخزين الأسلحة واقامة المزارع، ومن جملتها زار الكابري برفقة الشيخ يوسف الزيباوي «وطلب مكاناً للتمويه حتى يزرعه بالتمباك»[٦٩].

٣ ــ التدريب

بعد أن انتشرت الحلقات الجهادية السرية في حيفا، أساساً، والى حد ما في الأرياف

---

* قال عنه عبد المالك مصطفى القسام: الشيخ أحمد الطيب أبو منصور، كان من قبضايات حيفا، ويقضي وقته في المقاهي والخمر والتشليح، حتى تبناه الشيخ وألحقه بحركتنا. وكان من أوائل الذين عملوا في تخزين الأسلحة وتهريبها. وجنّد علاقات القرابة (أخواله في لوبيا والفولة والعفولة) لصالح الحركة. وهو شاب طويل جداً، كان يضع مسدسه على خاصرته، عندما ذهب الى مخزن السلاح في لوبيا. وعلى بوّابة الناصرة اطلقوا عليه النار فاستشهد في الحال، ولم نعلن عنه.